

التحول في عالم البشرية - التعليم خط ذو اتجاهين في التحول الحضاري

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ بِرَسُولًا مُّنذِهِمْ يَتَّلُّوْا عَلَيْهِمْ إِيمَانَهُمْ وَيُنَزَّكُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْتَنَتَهُمْ بَيْنَهُمْ) (فِي ضَلَالٍ مُّبَيِّنٍ)

مدار حديثنا هذا المساء وضمن سلسلة التحول في عالم البشرية هو التعليم واتجاهاته المتناحفة والمتعاكسة في بناء وهدم الحضارة؛ لأن من طرق التعليم ما ينهض بالحضارة، ومنها ما يهدمها، وفي هذا المدار أربع مواد:

- 1- عناصر التربية والتعليم في القرآن الكريم.
- 2- الانقلاب على التعليم (هل يجوز الإنسان على التعليم؟).
- 3- النظرة القاصرة للمادية في التعليم.
- 4- الكارثة والنتيجة البالغة الخطورة للتعامل مع التعليم بالتسامح.



- المادة الأولى/ عناصر التربية والتعليم في القرآن الكريم.

حددت الآية الكريمة خمسة عناصر للتعليم ومن تلك الأمور التي ألمعت إليها هي:

1- نظرية الوجود التراطبي؛ وهي نظرية فلسفية إسلامية طرحتها الملا صدرا، فحينما تناول موضوع التعليم قال: بأن مخاطبة الإنسان بالتعليم يمكن أن تكون جافة؛ وهي أن تخاطب الإنسان بالتعليم مباشرة، ويمكن أن تكون مخاطبة رطبة وسهلة وسالكة؛ بأن تخاطبه بالتعليم عن طريق التوحيد □ عزوجل.
(يَتَّلُّوْا عَلَيْهِمْ إِيمَانَهُمْ وَيُنَزَّكُهُمْ) بدأت الآية مع هذا المعنى، (وَيُعَلِّمُهُمْ) وهذا المرقى الثاني في السلم،

(وَيُعَلِّمُهُمْ) وهو المرقى الثالث في السلم.

كل ما تطلبه نظرية الوجود التراطبي من الإنسان من (علم و عدالة واستقامة) يجب أن يكون باسم □ الطلب، وباسم □ الافتتاح ، وباسم □ الشروع والابتداء هو التوحيد (يَتَّلُّوْا عَلَيْهِمْ
إِيمَانَهُمْ).

ومختصر هذه النظرية الإسلامية (الوجود التراطبي) على لسان الملا صدرا:

أن الإنسان مرتبط بكيانه وبما يبحث عنه ويسمو إليه وبما يفر منه بالتوحيد ارتباطاً واضحاً.

2-العنصر الثاني مع الآية المباركة/ الوسيلة:

تنوع وسائل التعليم حسب قابليات العصر.

أما الوسيلة الخاصة للتعليم فهي الكتاب (وَيُعَلِّمُهُمْ لِذِكْرِهِ وَلِحُكْمِهِ)

3-العنصر الثالث/ الأمان الذي يأتي من الهدى (الهدياوي)

يكون من خلال تحقيق الإنسانية والحكمة في دنيا الإنسان التي لا بد أن تزدان بأمررين:

الإنسانية والحكمة.

الإنسانية (يُرَكِّبُهُمْ)، أما الحكمة فجعلها خاتمة النداء (وَيُعَلِّمُهُمْ لِذِكْرِهِ

وَلِحُكْمِهِ)، وما يكون في خاتمة النداء هو الجوهر والمور الذي يمثل موضوع ذلك الطلب والنداء.

تحتخد الآية عن التحول الصاعد (التحول من الضلال إلى الهدى) الذي لا يمكن التماسه وتفعيله إلا من خلال

هذه العناصر (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ لَّمْ يُبَرِّئُنَّهُ)

-العنصر الرابع/ المعلم:

القرآن جعل النبي محمد (ص) معلماً.

في القاموس الفلسفـي نقرأ المعلم الأول أرسطـو طالـيس والثـاني الفـارابـي والـثالـث ابن سـينا والـبعـض يقول

الـدامـات أـين النـبي مـن هـذه التـراـتـيـة؟

فعندما تقول الأول فأنت تتحدث عنمن يُقاس به ويُقاس عليه، والنـبي لا يُقاس به أحد فهو فوق ذلك.

يأتي أحدهـم إـلى الإـمام الصـادـق فـيـقـولـ: أـو لـيـس بـيـرـوـيـ عنـ جـدـكـ رـسـوـلـ اللهـ (ـما أـظـلـلـتـ الخـضـرـاءـ وـلاـ

أـقلـتـ الغـبرـاءـ منـ ذـيـ لـهـجـةـ أـصـدـقـ منـ أـبـيـ ذـرـ)، قـالـ: بـلـىـ، فـقـالـ: فـأـينـ عـلـيـ وـفـاطـمـةـ وـالـحـسـنـ

وـالـحـسـينـ، أـينـ هـؤـلـاءـ؟ فـقـالـ وـيـحـكـ هـؤـلـاءـ لـا يـقـاسـ بـهـمـ أـحـدـ).

- المادة الثانية/ ما هو حجم الانقلاب على التعليم؟

كتب روحيـه جـارـودـيـ كـتاـباـ سـماـهـ (ـالـإـرـهـابـ الـغـرـبـيـ) وأـهمـ فـصـلـ فـيـهـ كـانـ يـتـحدـثـ عـنـ الانـقلـابـ الـكـبـيرـ، وـهـذاـ

الفـصـلـ اـسـتـلـهـ الـمـتـرـجـمـ سـلـمـانـ حـرـفـوشـ وـطـبـعـهـ باـسـتـقـالـلـيـةـ وـسـماـهـ كـتاـبـ

(ـالـانـقلـابـ الـكـبـيرـ).

يـقـولـ روـحـيـهـ جـارـودـيـ: (ـإـنـ الـحـيـاةـ فـيـ أـورـباـ فـيـهـاـ سـلـسلـةـ مـنـ الـانـقلـابـاتـ لـكـ انـقلـابـ الـكـبـيرـ هوـ انـقلـابـهـ عـلـىـ

ـالـعـلـيـمـ).

ويـقـولـ أـيـضاـ: (ـأـنـهـ اـعـتـبـرـوـاـ الـحـيـاةـ الـمـادـيـةـ الـتـيـ تـقـومـ عـلـيـهـ الـحـضـارـةـ الـأـورـبـيـةـ هـذـهـ حـاضـرـةـ لـلـانـقلـابـاتـ

ـوـإـنـ الـانـقلـابـ عـلـىـ الـتـعـلـيمـ هوـ الـانـقلـابـ الـكـبـيرـ فـيـ هـذـهـ الـحـضـارـةـ).

هل التعليم مهم في بناء الإنسان وكيف يكون ذلك؟
هناك اثنينية عالمٌ وعالمٌ؛ ولابد من علاقة استواء أو اضطراب ما بينهما.
العلاقة بين العالم والعالم قائمة على الصلاح والإصلاح؛ عالمٌ صالح يستطيع الإنسان أن يعيش فيه
بأمان دون انقلابات وتحولات.
إنسان مصلح يستطيع العالم أن يتمدد وينتعش ويزدهر، وحينما لا يكون صلاح في العالم ولا إصلاح في
الإنسان فالعلاقة ليست علاقة سالكة بل مضطربة.

آليات الإصلاح هي (التعليم والحكمة) :
الإنسان يحتاج إلى من يسير به في دائرة الحكمة، والذي يسير بالإنسان في دائرة الحكمة إما أن يكون
تربيبة نبوية، أو سيراً تربوياً على النمط الأسري أو المدرسي الرسمي.
الإنسان لا يولد والحكمة في رأسه؛ لذلك يحتاج أن يتلقاها تحت نظر مدرب، والمدرب إما أن تكون
الأسرة وإما أن تكون المدرسة.

تمر دائرة غرس الحكمة بأربع محطات:
- المحطة الأولى/ التلقين:
كلمة التلقين تسبّط الصعوبة عند الطرف الآخر، وأول مسؤولية تلقى على عاتق الأبوين هو تلقين الطفل
الحكمة؛ أي تبين له حدود الأشياء، وسمي تلقينا لأنّه يحتاج إلى التكرار.

- المحطة الثانية/ التمرير:
معلم يعلمهم الكتاب ومدرب يعلمهم الحكمة؛ لأن النبي مرة نأخذ منه أفكار من خلال الكتاب، ومرة نأخذ
منه قبسات من خلال حياته وسيرته، فهو مدرب، فسير التعليم يحتاج إلى المدرب بعد كونه معلماً.

- المحطة الثالثة/ التأمين :
يكون التأمين عن طريق الاحترام.
احترم الموقف الإيجابي من الطفل وشجعه إما تشجيعاً دعيمياً إذا احتاج إلى مادة وإما تشجيعاً معنوياً
وهو أن تحفظ له المواقف وتعيش معه المعادلات، فهناك معادلات في التربية أهمها
أن تعرف قانون العلاقة بالطفل؛ فأهم ما ينفع معه هو أن يشعر بالقرب منك، وتتوفر له امتيازات دعمية
أو معنوية.

- المحطة الرابعة/ التوفير:

وهذا ليس مسؤولية الأب وحده؛ وهو أن تُفتح الأدوار والسبل أمامه إذا كبر. وهذا ما يحصل في كثير من الدول، وعندنا أيضاً؛ فكثيراً ما يعلن عن رؤى للوزارة وغيرها، وهذه سنة طبيعية لأن حياة بدون توفير يمكن أن تنقلب على الحكم.

لمادة الثالثة/نظرة المادية القاصرة للتعليم والحكمة:

الحكمة هي النمو الطبيعي للأشياء (وهي أنك تعرف تمام المعرفة لحدود النمو ولحدود الشيء). المادية في نظرتها القاصرة ارتكبت أخطاء كثيرة جداً غالبيتها مستوحاة من كتاب جارودي (الانقلاب الكبير) فهو يتكلم عن المادية الغربية فيما تجزه، ومشكلتها في أنها تركز على الحال والوضع الراهن فهي تبني حالاً بلا جذر ولا ثمرة.

فهي لم تلاحظ الماضي ولم تنظر للجذر ولا لثمر المستقبل. فهناك خط في أول طرف منه الماضي ثم الحال وفي آخر طرف منه المستقبل.

ومن مشاكلها أيضاً التعتيم وطمس الحقائق والألمة (أن يجعل من الإنسان إنساناً اتوماتيكياً لا يفكر ولا يقرر ولا يعترض).

وكذلك من الأخطاء العلمنة (بدأت العلمنة رسمياً سنة 1904).

ويرى جارودي بأن العلمنة متناقضة؛ فقد طرحت شعاراً أخذ بشفاف النفس، لكنها نقضت هذا الشعار باطنياً وهذا الشعار: (لك حرية الاختيار).

تسيّدت العلمنة مؤسسات التعليم في العالم المادي فكيف أدارت هذه المؤسسات؟

منعت في مناهج التعليم تعليم الأوريبي ثقاقة الشعوب وعقائد الأمم وإعطاء نبذة عن الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم، فأين حرية الاختيار في ذلك؟!!!!

- المادة الرابعة / الكارثة

يخاطب روجيه الأوربيين بقوله:

(ماذا لو عبثنا بمستقبل غيرنا ولم نمنح غيرنا مستقبله ستكون النتيجة انتحار الكوكب الأرضي) بمعنى أن (الكوكب سينتهي ولن يكون صالحًا للحياة).

وهذا المعنى موجود عند الأوربيين- فهم يطلقون على بعض فلاسفتهم ومفكريهم أنبياء من باب المجاز، فهناك دول مبنية على رواية مثل روايات دوستويفסקי ، وكثيراً ما كانوا يستشهدون بها، - وقد استدلوا بقول أحد أبطال الرواية :

(ليس بيدي القدرة على أن أخلق لنفسي وجوداً إنسانياً وإنما بقي لدى القدرة على تدميره)

إن هذه الكارثة نجدها بتعبير أجود وبموقف أقوى عند الحسين:
(ألا وإنَّ الدِّعَىٰ ابْنَ الدِّعَىٰ) قد رکز بين اثنين؛ بين السُّلَامَ وَالذَّلَّةِ، وهيهات مذما الذلة
يشير الإمام الحسين إلى الكارثة، فقد وصلنا وكنا في صلح وهدنة واليوم نقبل على كارثة
ولا نستطيع أن نحمي أنفسنا ووطننا الذي وطننا إياه رسول إلا بان ننتفع كارثة خلافة؛
فيزيد يريد منا كارثة ماحقة وأنا اختار الكارثة الخلاقة التي سوف تشهد النقوص وتقطع العقول
ولذلك أصر على موقفه ومهد له ظاهراً بعد أن كان يمهد له باطناً .
